



المتنافسون في

عقدان

السيرة
يوسف بن حسن الطحاوي

قام به فريق التفرغ في
شبكة بينونة للعلوم الشرعية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسر شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفریغاً لمحاضرة

بعنوان

المتنافسون في رمضان

للشيخ

يوسف بن حسن الحمادي

- حفظه الله تعالى -

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد ...

فإنَّ أصدق الحديث كلام الله تعالى، وأحسن الهدي هدي محمدٍ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد ...

إنَّ من وصايا ربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لنا في كتابه، الاجتهاد في عبادته، والمداومة على الأعمال الصالحة، والمصارعة في فعل الخير، قال -جَلَّ وَعَلَا-:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الحج: ٧٧] أكد نبينا -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على هذه الوصية المباركة النافعة، فقال -صلوات ربي وسلامه عليه-: «افْعَلُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ،

وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ لِلَّهِ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ»^(١).

رمضان أيها الأكارم موسم التنافس في الخيرات، والمسابقة إلى الطاعات، والمسارة إلى رضا رب الأرض والسموات جل وعز، هكذا كان نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهكذا علمنا -صلوات ربي وسلامه عليه- وهو أحرص الناس علينا وأشفقهم بنا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

قال ابن عباس -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ"^(٢).

نعم إخواني إن أولى ما تزاحم عليه المسلمون، وأولى ما تسابق فيه المؤمنون، وأولى ما تسارع إليه المتنافسون هو تحقيق العبادة لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، نعم تحقيق العبادة خصوصاً في هذا الشهر المبارك بمعناها العام الشامل، الذي

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٧٢٠)

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٨) برقم: (٦)

هو القيام بكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه، من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة.

يقول ربنا -جَلَّ وَعَلَا- حاثًا عباده على التنافس في الطاعات والمسارة إلى رضاه والعمل بما يحب -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- من الخيرات قال -جَلَّ وَعَلَا-:

{إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾} [المطففين: ٢٢-٢٦].

والمعنى: في هذا النعيم الذي وصفه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وبَيْنَهُ لعباده الأبرار، {فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} أي: فليجِدُّوا في طلب النعيم، وليتسابقوا إليه وليرغبوا فيه وليحرصوا عليه، وذلك في الأعمال الصالحة، والجد في كل ما هو مشروع من العبادات المتنوعة على وفق هدي رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فهذا أيها الأكارم أمرٌ صريح من ربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- في أن نكون من أهل التنافس في طلب هذا النعيم، الذي وصفه الله -جَلَّ وَعَلَا- لنا في كتابه: {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} فهذا هو طريق السعادة، وهو سبيل النجاة،

وهو أساس العز في الدنيا والآخرة، قال -سُبْحَانَهُ-: **{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا}** [فاطر: ١٠] أي: فليطلبها بطاعة الله، والتأسي برسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

وانطلاقاً من هذا النص وأمثاله، جاءت وصايا سلفنا الصالح متتابعة في الحث على التنافس، والتسابق في الأعمال الصالحة، ها هو الحسن البصري - رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ - التابعي الجليل، يقول: "يَا ابْنَ آدَمِ إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ فِي خَيْرٍ فَنَافِسْهُمْ فِيهِ، وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ فِي هَلَكَةٍ فَذَرَهُمْ وَمَا اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ" وها هو وهيب بن أبي الورد القرشي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - يقول: "إِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَسْبِقَكَ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَحَدٌ فَافْعَلْ".

وقال قتادة ابن دعامة السدوسي وهو أحد التابعين - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ -: "يَا ابْنَ آدَمَ لَا تَعْتَبِرِ النَّاسَ بِأَمْوَالِهِمْ وَلَا بِأَوْلَادِهِمْ -أي: لا تجعل الميزان هو كثرة المال وكثرة الذرية- وَلَكِنْ اعْتَبِرْهُمْ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، إِذَا رَأَيْتَ عَبْدًا صَالِحًا يَعْمَلُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ خَيْرًا فَفِي ذَلِكَ فَسَارِعٌ، وَفِي ذَلِكَ فَنَافِسٌ مَا اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ قُوَّةً، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَا".

هذه الوصايا نبعث من إدراك هؤلاء معنى قول الله -جَلَّ وَعَلَا-:
 {فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} [الجمعة: ٩]، ولمعنى قول الله -جَلَّ وَعَلَا-:
 {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ
 لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: ١٣٣]، ولمعنى قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: {سَابِقُوا إِلَى
 مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا
 بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} [الحديد: ٢١].

جاءت هذه الوصايا وأمثالها من هؤلاء الأسلاف الأخيار من إدراكهم
 لحال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في هذا الشهر المبارك، وما كان عليه
 -صلوات ربي وسلامه عليه- من جودٍ دائمٍ متواصلٍ؛ من بذل العلم والمال،
 وبذل نفسه لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- في هداية العباد، وإيصال الخير إليهم بكل
 طريق، من وعظ جاهلهم، وتعليم غافلهم، وتذكير غافلهم، ومن قيامه -
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بحوائج المحتاجين، ومن صدقته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ- وإحسانه إلى الفقراء والمساكين، ونحو ذلك من أعمال البر التي كان
 عليها نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ولهذا قال الإمام الشافعي - رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ -: " أَحَبُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ جَوَادًا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ " لماذا؟ قال: "اقتداءً بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"

كان إذا دخل رمضان، قال بعض السلف: "إنما هو تلاوة القرآن، وإطعام الطعام"

كان أولئك الأخيار في تلك القرون المفضلة عجباً في التنافس في الأعمال الصالحة، من تلاوة القرآن وصدقة وقيام وإطعام طعام، وعُمرَةٍ وجُلوسٍ في المساجد، وبذلٍ للعلم، وقضاءٍ للحوائج، ونحو ذلك من الأعمال الصالحة المشروعة التي جاء بيانها في كتاب الله - جَلَّ وَعَلَا -، وفي سُنَّةِ النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

ومن أوصافهم العجيبة وتنافسهم الكبير، سعيهم في الاتصاف بصفات المتنافسين المسارعين إلى مرضاة الله - جَلَّ وَعَلَا -، أتدرون ما صفاتهم؟

قال الله - جَلَّ وَعَلَا -: {إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ} ﴿٥٧﴾

وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ
يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦٠﴾ { [المؤمنون: ٥٧-٦١].

كيف لا يتصف المؤمن بصفات هؤلاء المتنافسين في طاعة الله -تبارك
وتعالى- وهم أهل السبق إلى الجنّات، والقرب من رب الأرض والسموات -
تبارك وتعالى- في يوم القيامة، قال الله -جلّ وعلا-: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ
﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾} [الواقعة: ١٠-١١]

فالسابقون في هذه الدنيا في طاعة الله -جلّ وعلا- والمسارعون إلى
الخيرات هم السابقون يوم القيامة في دخول الجنّات بإذن الله -جلّ وعلا-.

كان أصحاب نبينا -صلى الله عليه وسلّم- من أشد الناس وأقواهم في
المسارعة إلى طاعة الله -جلّ وعلا- والتنافس فيها، قال عمر -رضي الله عنه
وأرضاه-: "أمرنا رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- بالصدقة فوافق ذلك
مالاً عندي، فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً -أي ما سبقته يوماً من
الأيام-، فجئت بنصف مالي، فقال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-: «مَا
أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» فقال عمر -رضي الله تعالى عنه-: مثله -أي نصف المال-،
قال: وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-:

«مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» فقال -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-: أَبْقَيْتَ لَهُمُ اللهُ وَرَسُولَهُ،

قال عمر -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-: لاَ أَسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا^(١).

يقول أبو هريرة -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- وانظروا في واقع الصحابة -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ- وما كانوا عليه من التنافس في الأعمال الصالحة، مع كثرة شواغلهم -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ وأَرْضَاهُمْ- ومع كثرة التزاماتهم وشدة ما كانوا عليه في ذلكم الوقت من طلب العيش وغير ذلك، مع هذا كله فإن نصيبهم من العبادة -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ- لم يكن يُهمَل أبداً.

يقول أبو هريرة -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-: "إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدرَجَاتِ الْعُلَى، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وانظروا إلى هذا الجواب الذي يدعو إلى التنافس والمسارة في الخير: «أَفَلَا أَعْلَمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ، إِلَّا مَنْ صَنَعَ

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (٢ / ٥٤) برقم: (١٦٧٨) والترمذي في "جامعه" (٦ / ٥٢) برقم:

مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «تُسَبِّحُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، وَتَحْمَدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ، ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً».

وما أكثر من يهمل هذه السُّنَّة في أدبار الصلوات، وما أحرص الشيطان عن صرف الناس عن هذه السُّنَّة اليسيرة التي هذا شأنها كما وصفها رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

قَالَ: فَرَجَعَ فَقَرَأَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: "سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلَ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ»^(١).

المنافس في الطاعات والحريص عليها يتألم إذا فاتته الطاعة، ويتحسر إذا وجد فيها نقص، وهذا شأن وحال صحابة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وخذوا مثالا على هذا:

قال رجلٌ لعبد الله بن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، وغير خافٍ عنكم من هو ابن عمر في كثرة العبادة والحرص على الطاعات، ماذا قال هذا الرجل لابن

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٦٨) برقم: (٨٤٣) ومسلم في "صحيحه" (٢ / ٩٧) برقم:

عمر؟ قال له: ألا تسمع ما يقول أبو هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، أنه سمع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «مَنْ خَرَجَ مَعَ جَنَازَةٍ مِنْ بَيْتِهَا وَصَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ تَبِعَهَا حَتَّى تُدْفَنَ كَانَ لَهُ قِرَاطَانِ مِنْ أَجْرِ، كُلُّ قِرَاطٍ مِثْلُ جَبَلٍ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ كَانَ لَهُ مِثْلُ أُحُدٍ»^(١).

فأرسل ابن عمر بعد ما سمع هذا الحديث إلى عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- يسألها عن قول أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ثَبَّتًا مِنْهُ وَتَحْرِيًّا -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-؛ لِأَنَّ الْأَجْرَ عَظِيمٌ، وَالثَّوَابَ كَبِيرٌ وَالْعَمَلَ يَسِيرٌ

قال: وعند ارسال ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لهذا الرجل إلى عائشة أخذ قبضةً من حصباء المسجد، أي من الحجر الصغير ملأ يده فجعل يقلبها في يده هكذا، ينتظر رد عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- ماذا تقول فيما قال أبو هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، حتى رجع هذا الرسول ثم قال: قالت عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-: "صدق أبو هريرة".

ماذا كان موقف ابن عمر عندما سمع رد عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- عن ذلكم الحديث وما احتواه من أجرٍ عظيم؟

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢/ ٦٥٣) برقم: (٩٤٥)

قال الراوي: فضرب ابن عمر بالحصي الذي كان بيده الأرض هكذا،
رماه بشدة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ثم قال: "لَقَدْ فَرَّطْنَا فِي قَرَارِيطَ كَثِيرَةٍ"

وهذا يدل على شدة الألم والحسرة على فوات تلك الطاعات، وعدم
القيام بتلك الأجور التي كان بإمكانه أن يقوم بها -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ-،
وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن، ولا تأتي هذه الحسرة في القلب إلا إذا كان المرء
حريصاً على الطاعة، مداوماً عليها راغباً فيها، جاداً في السعي إليها.

إذا أردنا أن نكون من أهل التنافس في الخير، ومن السابقين والمسارعين
في طاعة الله -جَلَّ وَعَلَا- في هذا الشهر المبارك وغيره، فعلينا بسلوك الوسائل
الشرعية التي جاء بيانها في كتاب الله -جَلَّ وَعَلَا- وفي سُنَّةِ النبي -صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وعلى ألسنة أهل العلم الراسخين.

مِنْ هَذِهِ الْوَسَائِلِ: اغْتَنَامُ أَبْوَابِ الْخَيْرِ الَّتِي يَهِيئُهَا اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لَنَا،

وعدم التسويف في القيام بها، قبل أن يأتي علينا ما يأتي من الشواغل
والصوارف، إلى هذا أرشدنا نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بقوله: «**بَادِرُوا**
بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ»^(١)، أي: اجتهدوا واغتنموا الأوقات التي

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٧٦) برقم: (١١٨)

تتمكنون من خلالها بالطاعات، والقيام بعبادة الله - جَلَّ وَعَلَا - قبل أن يأتي لكم ما يصرفكم أو يحجزكم عن طاعة الله - جَلَّ وَعَلَا - من الشواغل والفتن الملهيّات ونحو ذلك.

ولهذا قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «عَجِّلُوا الْخُرُوجَ إِلَى مَكَّةَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَا يَعْْرِضُ لَهُ مِنْ مَرَضٍ أَوْ حَاجَةٍ»^(١)

والمرء في هذه الحياة معرّض لأن يُحبس عن الخير، بما هو مقدرٌ عليه، ولهذا متى ما وجد سبيلاً إلى الطاعة فإنَّ عليه أن يغتنم ذلك ويسارع فيه، ولهذا قال أحد السلف وهو خالد بن معدان - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ -: "إِذَا فُتِحَ لِأَحَدِكُمْ بَابُ خَيْرٍ، فَلْيُسْرِعْ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَتَى يُغْلَقُ عَنْهُ".

ويقول الحارث بن قيس - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ -: "إِذَا أَرَدْتَ أَمْرًا مِنَ الْخَيْرِ، فَلَا تُؤَجِّلْهُ إِلَى غَدٍ" أي: سارع إليه ما دام بالإمكان أن تقوم بهذا العمل الصالح.

(١) أخرجه البيهقي في "سننه الكبير" (٤ / ٣٣٩) برقم: (٨٧٨٥)

لما سُئِلَ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أي الصدقة أعظم؟ قال: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبُ شَيْءٍ تَخْشَى الْفَقْرَ، وَتَأْمُلُ الْغِنَى، وَلَا تُثْمَلُ»، أي: لا تؤخر ولا تسوّف ولا تقل سأصدق فيما بعد.

«وَلَا تُثْمَلُ حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ الْحُلُقُومَ، قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ»^(١) أي: كان بإمكانك أن تقوم بهذه الصدقة في وقتها الذي هياه الله -تبارك وتعالى- لك.

ومن الوسائل المعينة: الاعتماد على الله -جَلَّ وَعَلَا- واللجوء إليه -

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- والتضرع إليه في أن يهبك الخيرات، فَإِنَّ الله -جَلَّ وَعَلَا- بيده الخير كله، وهو الموفق والمسدد -جَلَّ وَعَلَا- للأعمال الصالحة، إذا وقر هذا المعنى في القلب؛ لجأ المرء إلى ربه -تبارك وتعالى-، وعلم أن كل طاعة منه -سُبْحَانَهُ- فَإِنَّهَا محض منة منه -جَلَّ وَعَلَا- على عبده، ولهذا قال مطرف بن عبد الله بن الشخير أحد كبار التابعين -رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ- وتأملوا ما يقول: " لَوْ أَخْرَجَ قَلْبِي فَجُعِلَ فِي يَدِي هَذِهِ -أي: الَيْسَارِ- وَجِيءَ بِالْخَيْرِ فَجُعِلَ فِي هَذِهِ

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١١٠) برقم: (١٤١٩)

-أي: اليُمْنَى-، مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أُولِجَ قَلْبِي مِنْهُ شَيْئًا -أي من الخير- حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا هُوَ الَّذِي يَضَعُهُ".

هذا معنى عظيم، يجعل المر يدرك مِنة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عليه، وأن ما هو فيه من الطاعات والتيسير للعبادات إنما هو محض توفيقٍ من الله -جَلَّ وَعَلَا-، لا يستطيع أحدٌ أن يضع هذا الخير في القلب إلا إذا شاء الله -جَلَّ وَعَلَا- ذلك، وأراده -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

أيضًا من الوسائل التي من خلالها يُرجى أن يكون المرء من المنافسين في

الطاعات: الاقتداء برسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والنظر في سيرته وفي سيرة أصحابه، وفي أحاديثه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- التي فيها من الترغيب والحث على الخير، والتشجيع عليه ما لا يوجد في غيرها من الأقوال، فأقواله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كلها بركة، وكلها تصب في مصلحة العباد، وفي نفعهم في دينهم دنياهم.

لماذا قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ

-أي: الأذان- وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ -أي يجعلوا بينهم قرعة- لَأَسْتَهْمُوا» لماذا قال هذا؟

تشجيعًا وتحفيزًا ووضعًا لمبدأ التنافس فيما بين الناس في الخير «ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَا سْتَهْمُوا»^(١).

«وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ» أتدرون ما التهجير؟ التهجير هذا الذي يكاد يُنسى الآن بين الناس، التهجير الذي لا يعرفه ربما إلا كبار السن، التهجير هو التبكير إلى الصلوات

يقول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَأَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ»، هذا هو التنافس، ثم قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ -وهي صلاة العشاء- وَالصُّبْح -وهي صلاة الصبح- لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًا».

لماذا قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا»؟^(٢)

تشجيعًا للناس، وزرعًا لهذه القيمة العظيمة في نفوسهم، على أن يكونوا من المسارعين في نفع الناس، وفي قضاء حوائجهم.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٢٦) برقم: (٦١٥)

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" (٣ / ٣٧٤) برقم: (٣٣١٦)

وهكذا قل في قوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا قَامَ مَعَ الْإِمَامِ - أي في صلاة القيام والتراويح - حَتَّى يَنْصَرِفَ - أي: حتى ينتهي الإمام من صلاته إلى آخرها - كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَتِهِ»^(١)

ما أعظم هذا الأجر وأجل هذا الثواب، أن يقوم المرء بين يدي الله - تبارك وتعالى - لمدة لا تتجاوز ساعة وثوابها أجر قيام ليلة كاملة وهو نائم على فراشه.

رابعاً: هذا التنافس يحتاج إلى مجاهدة عظيمة، ومقاومة شديدة لهذه النفس؛

لأنَّ النفس ميالةٌ إلى الراحة، ومن جاهد نفسه أعانه الله، قال الله - جَلَّ وَعَلَا - : {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت: ٦٩] وقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ»^(٢) أي: هذا هو المجاهد حقاً الذي يستحق هذا الوصف، وهو كونه مجاهداً، وهو من يجاهد نفسه في طاعة الله.

ومن نظر في حال السلف الصالح وفي سيرهم رأى من ذلك عجباً، مثال ذلك ما جاء عن محمد بن منكدر - رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ - قال: "كَابَدْتُ نَفْسِي

(١) أخرجه ابن الجارود في "المنتقى" (١ / ١٥٨) برقم: (٤٤٣)

(٢) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٠ / ٤٨٤) برقم: (٤٦٢٤)

أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّى اسْتَقَامَتْ " هذا وهو في مجتمعٍ طاهرٍ نظيفٍ معينٍ على الخير، يقول: "كَابَدْتُ نَفْسِي أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّى اسْتَقَامَتْ " فماذا عسى أن نحتاج نحن في هذا الزمان!

ثم إن الدعاء وسؤال الله -جَلَّ وَعَلَا- العون على الطاعة من أهم

المهمات، أوصى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- معاذً -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن يقول في دبر كل صلاة: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(١) لا بد من عون الله -جَلَّ وَعَلَا- وبدون عون الله لا يستطيع المرء أن يقوم بطاعة الله.

لما أسلم الصحابي الجليل حصين رضي الله عنه، علّمه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يقول: «اللَّهُمَّ قِنِي شَرَّ نَفْسِي، وَاعْزِمْ لِي عَلَى ارْتِدَائِي»^(٢) أي: ارزقني الرشاد على الطاعة وفعل الخير.

وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لشداد بن أوس رضي الله عنه: «إِذَا اكْتَنَزَ النَّاسُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فَاکْتَنَزْتَ أَنْتَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ» وقال في أوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرَّشْدِ».

(١) أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (١ / ٧٣٢) برقم: (٧٥١)

(٢) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٣ / ١٨١) برقم: (٨٩٩)

ثم إن الصبر على طاعة الله من أقوم القوائم للثبات على الطاعة والمنافسة

في العبادة

والحياء من الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ، مقامٌ عظيم، يجعل المرء في هيبةٍ من الله -

تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وفي تعظيمٍ لله - جَلَّ وَعَلَا - وإجلالٍ له - جَلَّ وَعَلَا - في أن يراه الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - مقصرًا في الطاعة، أو كسولًا في العبادة، أو بطيئًا عن فعل الخير، ومن وقر الحياء في قلبه استحي من الله - جَلَّ وَعَلَا - أن يراه على هذه الحال.

ولهذا أوصى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أحد أصحابه فقال: «**أَوْصِيكَ أَنْ**

تَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ كَمَا تَسْتَحْيِي مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مِنْ قَوْمِكَ» كيف حال المرء إذا كان في قومٍ أو في مجلسٍ وبينهم رجلٍ صالح ذو هيبةٍ ومكانةٍ ومنزلةٍ، كيف يكون حال هذا الإنسان مع وجود هذا الرجل الصالح، من تحفظٍ في أقواله وأعماله وألا يصدر منه أمام هذا الرجل ما يشينه، هكذا ينبغي أن يكون المرء في حياءه من الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -.

ثم إن النظر في الأحاديث التي فيها عتاب من رب العالمين لعبده إذا قصر

في طاعته، فإنَّ النظر في هذه الأحاديث التي فيها عتاب الله - جَلَّ وَعَلَا -

لعباده في عدم قيامهم بالطاعة، أو في تباطئهم عن العبادة يدعو المرء إلى أن يستشعر هذا الموقف المهيب أمام الله -تبارك وتعالى- فيجد في الخير الذي يريده الله -تبارك وتعالى-.

يقول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وتأملوا هذا الموقف: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدَّنِي قَالَ يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ»^(١) عيادة المريض ماذا تأخذ من الواحد منا؟ لا شيء، بل فيها من الخير ما لا يعلمه إلا الله -جَلَّ وَعَلَا-.

ثم قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: «يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أُطْعِمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي. يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي»

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٣) برقم: (٢٥٦٩)

هذه النصوص وأمثالها هي التي جعلت أهل القرون المفضلة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- في استعدادٍ تامٍ للقدوم على الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- والمنافسة في الأعمال الصالحة.

ما الذي جعل أبو مسلم الخولاني -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- يقول: "لَوْ قِيلَ: إِنَّ جَهَنَّمَ تُسَعَّرُ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَزِيدَ فِي عَمَلِي".

يقول أنس بن عياض -رَحِمَهُ اللهُ -: "رَأَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ سُلَيْمٍ، وَلَوْ قِيلَ لَهُ: غَدَا الْقِيَامَةُ، مَا كَانَ عِنْدَهُ مَزِيدٌ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِبَادَةِ".

وبعضهم لو قيل له: قد توجه إليك ملك الموت، ما كان عنده زيادةً عمل.

هذه الأحوال التي كان عليها سلفنا الصالح، ما الذي جعلهم يصلون إلى هذه المنازل والمراتب العالية من طاعة الله والمنافسة في العبادة؟

هذه النصوص الشرعية التي تقدّم بعضها، والوسائل الشرعية التي سمعتم بعضها، هي التي جعلت أولئك الأخيار يستحون من الله -جَلَّ وَعَلَا- ويسارعون في طاعته.

ختامًا: ما منا من أحد إلا وهو يود أن يعرف قدره عند الله -عزَّ وجلَّ-،

ويتمنى أن يعلم بمكانته عند خالقه -جَلَّ وعَلا-، فما هو الضابط الذي يتمكن به من الوقوف على ذلك؟

الجواب في قول نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مِنْ أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ مَا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلا ذِكْرُهُ، فَلْيَنْظُرْ مَا لَلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ»^(١)

هذا الحديث ثابتٌ عن نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقد جاء من رواية عددٍ من الصحابة: كأبي هريرة وأنس وسمرة بن جندب -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ الجَمِيعِ-.

يبين النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الميزان الذي من خلاله يُدرك المرء قيمته عند الله -عزَّ وجلَّ- ويعرف منزلته عند ربه -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، ما حظُّ المرء من الطاعة، والقيام بالعبادة والاجتهاد في فعل الخير، والبعد عن الشر؟ بحسب حظ المرء من هذا؛ يكون قدره عند الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-

ولهذا كان سلفنا الصالح من أحرص الناس على هذا الشيء، ومن هنا قال بعضهم: منزلة العبد في نفس الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بحسب قدر الله -جَلَّ

(١) أخرجه البزار في مسنده (١٠٠٦٢)

وَعَلَا- في قلب العبد، فالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يُنْزِلُ العبد من نفسه بحسب
إنزال العبد ربه في قلبه -جَلَّ وَعَلَا-.

أَسْأَلُ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى أَنْ يَجْعَلَنَا جَمِيعًا مِنَ
الْمُنَافِسِينَ وَالْمُتَنَافِسِينَ فِي الطَّاعَاتِ، الْمُسَارِعِينَ فِي مَرْضَاةِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، وَأَنْ
يَتَقَبَّلَ مِنَّا الصِّيَامَ وَالْقِيَامَ وَتِلَاوَةَ الْقُرْآنِ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ يَسْعَوْنَ إِلَى مَحَبَةِ اللهِ -عَزَّ
وَجَلَّ- وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الْمَقْبُولِينَ وَمِنْ عِتْقَاءِ رَبِّ الْعَالَمِينَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فِي هَذَا
الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى
اللهُ وَسَلَامُ وَبَارَكَ وَأَنْعَمَ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة، يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

① 【 Twitter تويتر 】

<https://twitter.com/BaynoonaNet>

② 【 Telegram تيليجرام 】

<https://telegram.me/baynoonanet>

③ 【 Facebook فيسبوك 】

<https://m.facebook.com/baynoonanetuae/>

④ 【 Instagram انستغرام 】

<https://instagram.com/baynoonanet>

⑤ 【 WhatsApp واتساب 】

احفظ الرقم التالي في هاتفك

<https://api.whatsapp.com/send?phone=971555409191> ☎

أرسل كلمة "اشترك"
تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك
(لن تتمكن من استقبال الرسائل)

⑥ 【 تطبيق الإذاعة 】

لأجهزة الأيفون

<https://appsto.re/sa/gpi5eb.i>

لأجهزة الأندرويد

<https://goo.gl/nJrA9j>

⑦ 【 Youtube يوتيوب 】

<https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE>

⑧ 【 تمبلر Tumblr 】

<https://baynoonanet.tumblr.com/>

⑨ 【 بلوجر Blogger 】

<https://baynoonanet.blogspot.com/>

⑩ 【 فليكر Flickr 】

<https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/>

⑪ 【 لعبة كنوز العلم 】

لأجهزة الأيفون

<https://goo.gl/Q8M7A8>

لأجهزة الأندرويد

<https://goo.gl/vHJbem>

【 البريد الإلكتروني 】

info@baynoona.net

【 الموقع الرسمي 】

<http://www.baynoona.net/ar/>



شبكة بينونة للعلوم الشرعية



جميع الحقوق محفوظة